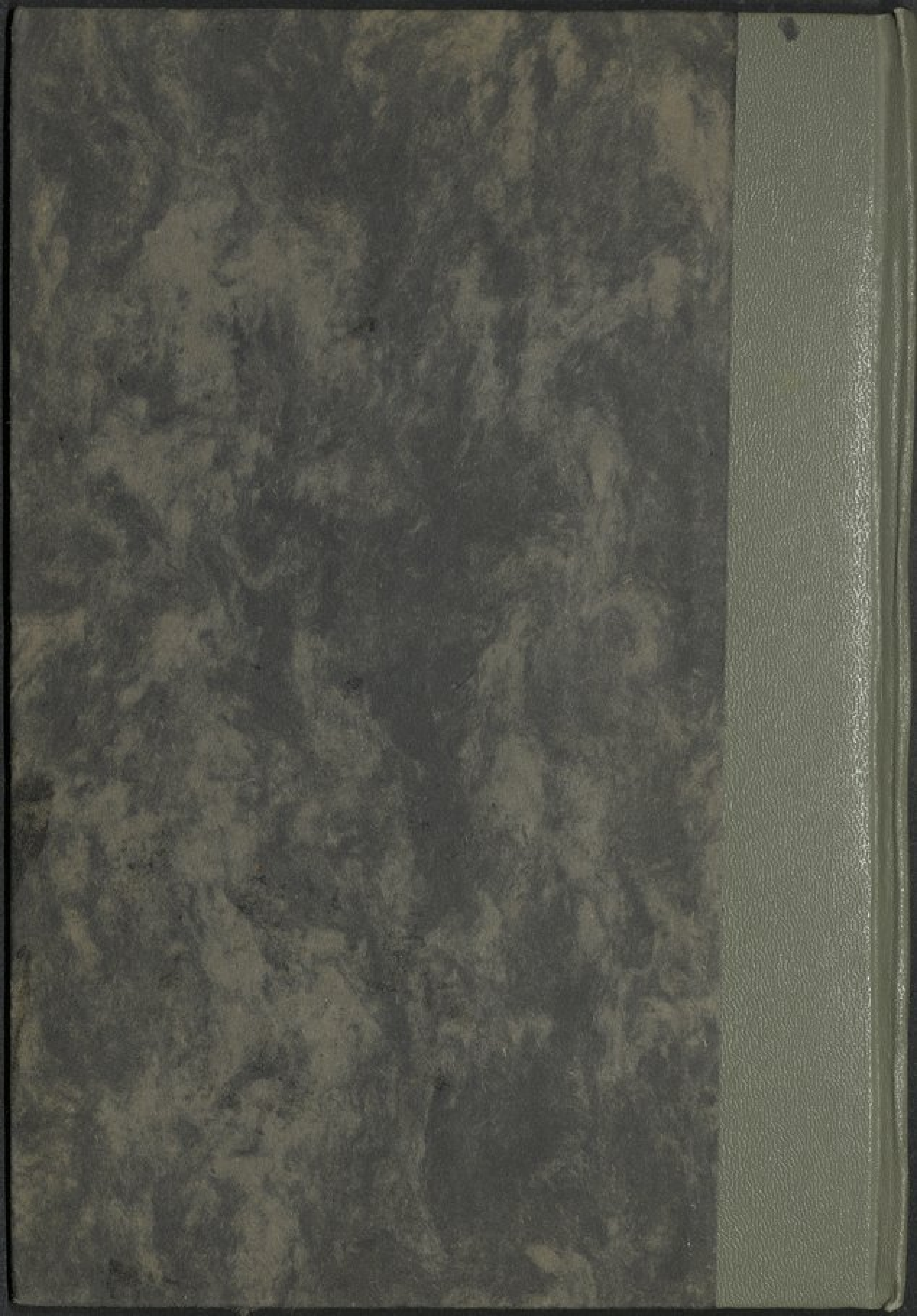


تحقيق وتدقيق

في بعض اخبار الفتوحات المصرية بسورية

منذ تسع وتسعين سنة

للدكتور اسد رستم

احد اساتذة التاريخ الشرقي في جامعة بيروت الاميركية

المطبعة الادبية = بيروت سنة ١٩٣٠

عبدالله باشا يبسط قضيته

توطئة: في سجل المحكمة الشرعية بمدينة القدس الشريف رسالتان من عبدالله باشا الى اهالي البيت المقدس وحكامه فريدتان في جنسهما لا يعرف لهما شبيه . واذا ثبتت اصليتهما كانت لهما اهمية تاريخية كبرى لانهما الوحيدتان من نوعهما اللتان تحفظان لنا كلام عبدالله باشا في اسباب النزاع الذي قام بينه وبين محمد علي باشا في اوائل الربع الثاني من القرن الماضي[1] . علينا اذاً — اولاً — ان ننشرهما ونضبط قراءتهما ضبطاً تاريخياً تاماً وثانياً ان نثبت اصليتهما وثالثاً واخيراً ان ننظر في امر محتوياتهما لاقرارها الاقرار التاريخي المرام او لدحضها ونبذها او لابداء الشك فيها .

نص الرسالتين — الرسالة الاولى: صدر الموالي العظام عمدة العلمآء الكرام نخبة الفضلا الفخام رافع اعلام الشريعة والدين وارث علوم الانبياء والمرسلين المختص بمزيد عنايت الملك المعين مولانا منلا افندى محروسة القدس الشريف حالا افندى دامت فضائله وافتخار العلما الكرام المأذون بالافتى بها حالا افندى زيدت علومه

(١) هذا اذا استثنينا احدى رسائله الى اعيان دمشق كما سيجيء بك

وفرع الشجرة الزكيه نقيب الاشراف افندي زيد شرفه وافتخار الاماجد والاعيان وكيل تكية العامرة مصطفى اغا زيد مجده وقدوة الاماثل والاقران ميرالاي زيد قدره ومفاخر العلماء الكرام وسائر علماء وخطباء وأئمة ووجوه واعيان وارباب التكلم وعموم اهالي مدينة القدس الشريف زيد علومهم وقدرهم بعد السلام التام بمزيد الاعزاز والاكرام والسوال عن عزيز خواطركم المنهى اليكم قبل تاريخه اعرض لنا متسلمنا في لوا غزه والرملة ولد والخليل ويافه اباظه ابراهيم اغا بان وردت الاخبار عن قدوم عسكر من جهة والى مصر الى العريش وشيوعهم انهم قادمين الى غزه والى هذه الجهات فقبل تاريخه طرق المسامع الشريفة الملوكية حركة والى مصر لجهة الاقطار الشامية وبما ان وقوع هذه الحركات مغايرة الرضا الشريف الشاهاني وهو بنفس الامر خروج على السلطان بوقته تحركت عليه حرارت الغضب الملوكى وصدرت الاوامر الملوكية لنا والى حضرة اخواننا الوزراء العظام والى الشام ووالى حلب [وخصوصي] اخينا قبطان باشا المعظم فمتى تحقق خروج عسكر والى مصر من طرفه لهذه البلاد وايالتنا فقد صار فرملي مغضوب مولانا السلطان وجميع مامورين بالتجرد على المذكور برا وبحرا والغزا فيه وقتاله وهلاكه فبتاريخه ورد لنا عرضحالات من متسلمنا المولى اليه ومن جناب عساكرنا ان بلغهم قدوم عسكر مصر الى غزه فالان ثبت وقوعه تحت الغضب الملوكى وصار فرملي هو وعساكره ومن يلوذ فيه وينحاز اليه فمن طرفنا على الاتكال على واحد احد[1] والاستمداد بروحانية سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم شمرنا [عن] ساعد العزم بابراز الاستعدادات الكلية لضربه وقتاله وانفاذ الاوامر الشريفة الملوكية فيه وعلى الفور اصدرنا اوامرنا الى المتسلم المومى اليه وضباط عساكرنا المقيمين بالسناجق في قلعة يافه [بتحريضها] والثبات قدامه وصدرت اوامرنا الى مشايخ نواحي سنجق القدس الشريف ومشايخ جبل نابلس بالتجريد بالعدد والبارود بمضاربة هذا اللعين الخارجي عاصي الشر والسلطان فنكون يدا

---

(١) هكذا وردت في السجل وربما كانت في الاصل هكذا: بعد الاتكال على واحد احد.

واحدا مع متسلمنا وعساكرنا لتقوية يافا وقتاله وصده عن معصاه وبادرنا بجلب العساكر من كل جانب من سائر الممالك والجهات لاجل ارسالها اورديات . . . لضربه وقتاله وحالا اعرضنا الي ولى نعمتنا الدولة العلية صانها رب البرية وبحوله تعالى وقوته وباهر عظمته في ظرف ثلاثين يوم من تحريراتنا تحضر لطرفنا الامداد السلطانيه والعساكر المقاتلة برا وبحرا [ويتيسر] هلاك هذا الباغي المفسد وليصير عبرة للناظرين وبمقتضى المصلحة اقتضى اصدار بيورلدينا هذا اليكم بتوضيح هذه الكيفية [على] ما تقدم شرحه فلا يخفى الجميع منكم ان هذا الخاسر معلوم حاله بارتكبات المنكرات والفضايح المغايرة الشريعه والسنه واستعباده المخلوقات وغلبته على النسا والاولاد والعرض والدما وسوء قصده وظنه الفاسد يشلو له انه يعوث بهذه البلاد وبعاملها [بنظير] معاملته في الاقاليم المصرية فحاشا ان ينال اربابه] ولكن بما ان مراسيم الاحتياط واجبة فيلزم منكم بعد تلاوة بيورلدينا هذا تقروا الفاتحه الشريفه وتجلبوا بالدعا الخيرى لحضرت مولانا السلطان نصره العزيز الرحمن وابد وايد تخت سلطنته العظما الى انتهاء الزمان وانقراض الدوران والعلما الاعلام يخبروا العام بمضمون الشريعه المطهره وان من يخرج على السلطان فقد خرج عن امر الله تعالى من فساد هذا العاصى الفاسق بان لا يلغوا فيها وبدينها (١) فالجميع منكم غيرة للدين تكونوا انتم وعساكرنا يدا واحدا مع متسلمنا الحاج محمد شاهين اغا وتحافظوا على هذه المدينة المشرفة اذا تخطا احد من عساكره قليل ام جليل فتنهضوا بغيرة دينية وحمية اسلامية بدفعه وقتاله وليعلم الجميع ان من قتل منكم فهو شهيد والمغازى الحى السعيد وقتيل الاعدا هالك ومن يتخلف ام يوافق ام يخامر بالاشارة ام بالسر ام بالجهر فيكون خارجي وارتكب جناية مهلكة وخطر جسيم حيث نحن بحوله تعالى وقوته ثابتين ومستعدين والامدادات الملوكية ورودها قريب ودفع

---

(١) واما الاصل كان هكذا : بان لا يتغوا فيها وبدينها ويكون الصحيح حينئذ يوتغوا من اوتغ فلان دينه ايتاغا اي فعل فعلا يوتغه ويوثمه.

صولة هذا الفاسق وهلاكه وتدميره [يتيسر] باقرب وقت وحال [وكل من] ارتكب هذا الخطر يهلك هو وذريته ويصيروا عبرة الى الناظرين عدا الذى سبب الخيانة بموافقته كما شرحنا يجاب هكذا مضرات قطيعة على المدينة المطهرة واهلها الفقرا الذين [بكل مدتنا] ما اغفلنا عن ملاحظة راحتهم ورفاهة احوالهم فيها فصلنا لكم الواقع باطرافه ونتايجه وملحوظ ان نسمع عنكم كل غيرة صادقة باجراى مضمون مرسومنا هذا الذى محسناته حماية لكم ولنعمتكم [واولادكم] واملاككم وارزاقكم وعرضكم وديمائكم وبلدتكم وخصوصا تكونوا ابرزتم صداقة حسنة قدامنا وعند حضرت ولى نعمتنا الدولة العلية صانها رب البرية فبناء على ذلك اصدرنا لكم بيورلدينا هذا من ديواننا في قلعة النصر داخل دار الجهاد محروسة عكا المحمية بوصوله واطلاعكم على مضمونه تعملوا بموجبه وتعتمدوه غاية الاعتماد وتحاشوا مخالفته في ٢٩ جا[١] سنة ١٢٤٧

الرسالة الثانية جناب صدر صدور الموالى العظام عمدة العلمآء الكرام ونخبة الفضلا الفخام ذوى الفضل واليقين رافع اعلام الشريعة والدين وارث علوم الانبيا والمرسلين المختص بمزيد عنايات الملك المعين مولانا منلا افندى محروسة القدس الشريف حالا افندى زيدت فضائله ومخار العلما الكرام ماذون بالافتى حالا افندي زيدت علومه وفرع الشجرة الزكية نقيب الاشراف افندى زيد شرفه ومخار الاماجد والاعيان متسلمنا في سنجق القدس حالا مملوكنا وولدنا الحاج محمد شاهين اغا زيد مجده ومفاخر العلمآ والصلحا الكرام علمآء المدينة وصلحائها عموما زيد علمهم وصلاحهم ومفاخر اقرانهم كامل وجوه البلده واعيانها بوجه العموم زيد قدرهم بعد السلام التام المنهى اليكم انه لا خفاكم ان حركة هذا الخبيث محمد علي على الخروج على السلطان فهى من مدة مديدة تنوف عن خمسة اشهر وفي ذلك الوقت حين طرق المسامع الشريفه الملوكية حركة هذا الخبيث بالخروج صدرت اوامر شريفة الى سعادة اخينا قبطان باشا بان يكون على حذر و يوعظه فعندما يسمع بخروجه برا و بحرا

(١) اي جمادى الاولى كما في «مصرار جاج بشن لذاذ»

حالا يسرع بالحضور وصحبته الدنما الهمايونية لهذه الاطراف ويكون معنا يدا واحدة في ضرب وتنكيل هذا الشقي الخاسر وصدرت كذلك لنا الاوامر الخاقانية تخبرنا بهذا الخصوص وان نشد عزمنا الى مصادمته وضربه وتنكيله في حين تحقيق خروجه ومضى الامر من ذلك الى الان وهو مكتوم بالصدور ومتربصين نحن وسعادة اخينا قبطان باشا المعظم لوقت خروج هذا الخاسر عدو الله وعدو حضرت مولانا السلطان نصره العزيز الرحمن فقبل تاريخه حين ورود عساكر هذا اللعين الى مدينة غزة هاشم وتحقيقنا ذلك حررنا اعراض نخبر الى حضرت اخينا قبطان باشا المعظم واخبرناه بالواقع وانهينا دولتهم بالحضور لهذه الاطراف لاجل الاتحاد والتعاضد مع سعادته وانفاذ اوامر حضرت ولي نعمتنا الدولة العلية بردع هذا الخارجي [وضربه] وتنكيله فلله تعالى مزيد الحمد والمنة يوم تاريخه الجمعة المبارك وردت الاخبار الاكيدة بان حضر بعض من مراكب دولته الى جزيرة قبرص وان سعادته قادم من ورائها وعلى موجب الحساب يكون وصوله لطرفنا في خمسة وعشرين هذا الشهر المبارك زمانية الى نهاية هذا الشهر وبحيث كما هو متحقق لدى الملاء اجمعين خباثت محمد علي واعوانه وظلهم الشنيع الى الرعايا واسترقاقهم اليهم اقتضى نشر هذه البشراي المسره لجميع اهالي ايالتنا حيث محقق ومتيقن بورود اخينا المشار اليه في الدنما الهمايونية الى هذه الاطراف لا يثبت امام الدنما الهمايونية ولا يوم الفرد [ويتلاشا] امره وناخذ مراكبه المنحوسة ويوسر من بها من اولاده الخبثا واتباعه الخسرا ولا يبقى لهم باقية وحينئذ حالا نحن كذلك [نخش] عليهم من جهت البر ونضيقهم كووس الحتوف بعون الله تعالى وتطهر هذه الاراضي المقدسة من نجاساتهم وناخذ نحن وسعادة اخينا قبطان باشا المعظم اليد البيضا لدى ولي نعمتنا الدولة العلية حرسها رب البرية وذاك الوقت الصادق لدينا يبيض وجهه وينال خيرا كثيرا من طرفنا فلاجل تبشيركم بقدوم سعادة اخينا المشار اليه في الوقت المعين المذكور اعلاه وهو اخر هذا الشهر اقتضى اصدار مرسومنا

هذا اليكم [تخبيرا بذلك] فيلزم منكم [تشدوا] عزمكم وتقووا باسكم وتحافظوا على الصداقة فيما يخولكم دوام بياض الوجه لدى حضرت ولى نعمتنا الدولة العلية ولدينا وقريبا بعونه تعالى تنظرون ما يحل بهؤلاء الخوارج من [الدمار] والبوار وقلع الاثار وخراب الديار بعون الملك الستار اعلموه واعتمدوه غاية الاعتماد في ٢١ ج[١] سنة ١٢٤٧

السيد عبد الله

والي صيدا وطرابلس ومتصرف لواء غزه والرمله

ولد والقدس والخليل وجنين

حالا غفر له

هذا هو نص هاتين الرسالتين كما عرفناه في سجل المحكمة المذكورة وقد ابقيناه على حاله بحروفه وغلطاته نعم نحن نصر على هذه الخطة في النشر مع علمنا العلم الاكيد — من رسائل عبدالله باشا التي لا تزال باقية بنفسها حتى الان — بان لغة هاتين الرسالتين في الاصل كانت اصح مما نراه في السجل المقدسي ولعل السبب في ذلك يرجع الى انحطاط لغة الكتاب في تلك المحكمة وعدم اعتناء اولياء الامر فيها بضبط السجلات من هذا القبيل الضبط القانوني المروم

***

اثبات الاصلية : ومع اننا نُقر بهذا الاهمال في ضبط سجلات المحاكم الشرعية وقتئذ فاننا نرى في وجود هاتين الرسالتين ضمن سجل رسمي يرجع عهده الى ذلك الزمن دليلاً قوياً يثبت اصليتهما ويقرها بوجه الاجمال . ولنا ايضاً في صحة اصل الصكوك الشرعية التي ترد قبل هاتين الرسالتين في السجل نفسه وبعدهما ما يقوي اعتقادنا في سلامة اصلهما وعدم تزويره . وبعد المقابلة بين نص هاتين الرسالتين ونصوص غيرهما من رسائل عبد الله باشا التي تحمل ختمه وامضاءه والتي لا تزال محفوظة حتى الان لدى ارباب البيوت الكبيرة في فلسطين وسورية تمكنا من

(١) جمادى الاخرة كما تقدم

الوقوف على دليل اخر يدعم هذا الاثبات و يويده . فانك لو طلبت المجموعة الفاهومية في الناصرة واخذت بيدك مراسيم هذا الباشا الى الشيخ عبد الله الفاهوم وغيره لوجدت فواتحها وخواتمها كفواتح هاتين الرسالتين وخواتمها بالضبط . ثم اننا لا نجد فرقاً بين لغة واسلوب هاتين وتلك . اضف الان الى هذا كله ان سجلات الوزارة الخارجية في فرنسه التى ليس لها ادنى علاقة بسجلات محاكمنا الشرعية توئيد بعض محتويات هاتين الرسالتين تاييداً تاماً[1]

***

المحتويات واهميتها : يصح لنا اذا بعد اثبات اصلية هاتين الرسالتين ان نقول على الاقل ان عبدالله باشا « قال» انه قاوم محمد علي باشا سنة ١٨٣١ لان محمداً هذا « خرج عن الدين وعصي السر والسلطان ولانه اباح المنكرات واستعبد المخلوقات » نعم يصح لنا ان نقول هذا القول ولو خلت سائر الاصول التاريخية منه

ولكن ايصح لنا ان نستنتج للتاريخ شيئاً اكبر من هذا فنقول ان لسان عبدالله في هذا الاقرار هو صورة قلبه بالضبط وان الباشا صحيح النبأ صدوق المقال يخبرنا بحقيقة ما كان يخالج قلبه آنئذٍ ؟ نقول ابنا في رسالتنا الى الموتمر الدولي الجغرافي الذي انعقد في القاهرة عام ١٩٢٥ ان محمداً قصد عام ١٨٣١ ان يتغدى حكومة الاستانة قبل ان تتعشاه وانه كان يحارب في الحقيقة للمحافظة على ثروته ومنصبه ومقامه تجاه هذه الحكومة وانه محتمل ايضاً انه كان يحارب للمحافظة على حياته نفسها او بكلمة اخرى ان مرماه كان الاستانة لا عكه وانه حقيقة خرج على السلطان كما جاء في كلام عبد الله وكما كان قد شاع في سورية قبل وصول الحملة المصرية[2]

وفي الامكان ايضاً ان نقول مع عبد الله باشا ان محمداً اباح بعض ما كان يعتقده المسلمون في ذلك العصر منكراً فانه لم يداوم على تنفيذ ما نصت به الشريعة

---

(١) Douin, Georges : La Mission du Baron de Boislecomte, (Le caire, 1927), 64 — 66 .

(٢) Michaud et Poujoulat Correspondance, d'Orient, (Paris, 1834), v, 433.

المطهرة في وجوب اذلال الذمي وتصغيره كما ورد في مجمع الانهر وملتقى الابحر وغيرهما من كتب الشرع الاسلامي[١] في الشرح على ما ورد بهذا المعنى في صورة التوبة قال الجبرتي: «في شهر جمادى الاولى سنة ١٢٣٣ نودي على طائفة المخالفين للملة من الاقباط والاروام بان يلزموا زيهم من الازرق والاسود ولا يلبسون العمائم البيض فما احسن هذا النهي لو دام»[٢] وجاء في اخر اخبار سنة ١٢٣٦ في الكتاب نفسه ما نصه: «واشتد في هذا التاريخ امر المساكن بالمدينة وضاقت باهلها لشمول الخراب فيها وكثرة الاغراب وخصوصاً المخالفين للملة فهم الان اعيان الناس يتقلدون المناصب ويلبسون ثياب الاكابر ويركبون البغال والخيول المسومة والرهوانات وامامهم وخلفهم العبيد والخدم وبايديهم العصي يطردون الناس ويفرجون لهم الطرق وتوصلوا بتقليدهم مناصب البدع الى اذلال المسلمين لانهم يحتاجون الى كتبة وخدم واعوان والتحكم في اهل الحرفة بالضرب والشتم والحبس من غير انكار ويقف الشريف والعامي بين يدي الكافر ذليلاً»[٣] نقول والنهي عن المنكر واجب لقوله في الحديث من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان[٤] ولم يكن في امكان محمد علي باشا ان يقول لائمة ذلك العصر انه لا يستطيع تنفيذ نصوص الشريعة الغراء

وكذلك فان محمداً سمح باحتكار بعض الاقوات ان لم يكن اكثرها وبالتربص بها للغلاء ايضاً ولم يعبأ بما اوصى به الرسول حيث قال: من احتكر فهو خاطئ ولا

---

(١) اطلب كتاب مجمع الانهر في شرح ملتقى الابحر لشيخ زاده عبد الرحمن بن شيخ محمد بن سليمان (طبع القسطنطينية سنة ١٣٠٥) ص ٣١٣ و٣١٩—٣٢٢

(٢) كتاب عجائب الاثار في التراجم والاخبار للشيخ عبد الرحمن الجبرتي (طبع مصر سنة ١٣٢٢ ج ٤ ص ٣٠٩

(٣) الجبرتي كما ورد قبلاً ج ٤ ص ٣٣٧ . اطلب ايضاً مخطوطة نوفل نوفل الطرابلسي (مكتبة جامعة بيروت الاميركية) ص ٤٩٠ — ٤٩١

(٤) صحيح مسلم (طبع القسطنطينية) ج١ ص ٥٠

يحتكر الا الخاطىء[1] قال المؤرخ المعاصر[2] نوفل نوفل الطرابلسي : وزاد طمع الحكومة في امور خارجة عن اللياقة فان يوسف كنعان المذكور استدعى منها ان تاذن له بان يضبط كل ما يدخل الى البنادر من البلح الذي هو اصل قوت المصريين فهاجت المصريون واضطربت البلاد واظهرت اهالي المدن العصاوة[3] واقبح من ذلك واشنع كثيراً هو ان رجلاً يقال له انطون نصره قدم عرضحالاً استدعى به حرية النساء المخدرات غير العواهر المعروفات اللواتي يدفعن مالاً مقرراً لامتلاك حريتهن من كل وجه و يرقصن في الاسواق الى غير ذلك بل النساء اهل الستر المحصنات في بيوتهن تعطى لهن ايضاً هذه الحرية التي للعواهر تحت مبلغ خمسة الاف كيس يدفعه سنوياً للخزينة فقبل التماسه وبعد ان رتب وكلاء لهذه البدعة الخبيثة في مصر اخذ يدور الاقاليم ثم حضر الى الاسكندريةواخذمركزاً في المنشية واجرى اموراً يخجل القلم من وصفها فكشفت المستورات وظهرت المخبآت الى ان وجفت البلاد وكادت تمور بحكومتها فتداركت القضية وادخلتها في حيز مالم يكن[4]

ومع ان محمداً لم يحلل للدكتور كلوت بك اخراج الموتى من قبورها وتشريحها في مدرسة القصر العيني فانه لم يمنعه عن تقطيعها في اندية هذه المدرسة . ولا يخفى ما في هذا العمل من المخالفة لنص الشريعة المطهرة كما عرفها علماء ذلك العصر فان الرسول

(١) صحيح مسلم ج ٥ ص ٥٦
(٢) ولربما كان شاهداً عياناً ايضاً اطلب كلامنا عن حياته في مجلة جامعة بيروت الاميركية ج ١٠ ص ٨٥
(٣) مخطوطة كشف اللثام كما مر بك سابقاً ص ٤٨٥ — ٤٨٦ . ويؤيد هذا الكلام المؤرخ المشهور عبد الرحمن الجبرتي في كتابه عجائب الآثار ج ٤ ص ٣٣٣
(٤) مخطوطة نوفل نوفل المشار اليها آنفاً ص ٤٨٥ — ٤٨٦ . راجع كلام الرحالة بابتيستان بوجولا في المجلد الثاني من رحلته في سوريا (طبع باريز سنة ١٨٤١) ص ٥٣٣ — ٥٤٥ اطلب ايضاً كلام نوفل افندي نوفل عن اباحة المسكر ص ٤٩١ من المخطوطة نفسها وكلام جرجي افندي يني في الموضوع نفسه في مجلة المباحث ج ١٤ ص ٨٧ — ٨٨ راجع كذلك ما جاء في مخطوطة الخوري بطرس حبيش عن علاقة محمد علي باشا بيوسف كنعان الحمرجي في المجلة السورية ج ٣ ص ١٧٣ و ١٧٥

أمر باحترام الميت ونهى عن المثلة [١] ومع ان العلماء الازهريين اليوم يحللون التشريح لما ينتج عنه من الفائدة العامة فان سلفاءهم في ذلك العصر رأوا في هذا النهي امراً قاطعاً باتاً واعتبروا كل قطع للانوف والآذان والاذكار والاطراف مثلة كما تقدم . قال الدكتور كلوت بك : وكان هناك عقبة ثانية ليست باقل صعوبة من السابقة الا وهي اضافة علم التشريح الى برنامج التدريس اذ لا يخفى ما كان يتوقف عليه تنفيذ هذا المشروع من مكافحة بعض الاوهام الدينية بالنظر الى الدين الاسلامي يقضي باحترام الموتى و يسلم ببقاء الشعور فيهم كما لو كانوا على قيد الحياة [٢]

وهكذا فاننا لو نظرنا الى بعض هذه الاصلاحات والتغييرات كما نظر اليها ابناء ذلك العصر في سوريا ومصر وجدناها كما وصفها عبدالله باشا واضطررنا ان نقول بوجه الاجمال ما قاله هو عنها [٣]



وفي الامكان ان نقول ايضاً ان عبدالله كان من المحافظين على التقاليد والعوايد الدينية القديمة وذلك لاسباب ثلاثة : اولاً لان ثلاثة من كبار معاصريه الذين عجموه فعرفوه حق معرفة يؤيدون هذا القول تأييداً تاماً . قال الخواجه انطون كاتافاكو قنصل فرنسا وروسيا والنمسا في عكة وقتئذٍ : احيط عبدالله منذ صغره بائمة الشريعة فنشأ على التعصب الديني [٤] . وقال الشيخ بشير جنبلاط الى الامير حيدر احمد—واللفظ للدكتور مخائيل مشاقه—ما نصه : ان سبب تغيير خاطر الوزير على

(١) صحيح مسلم ج ٥ ص ١٤٠ : «اغزوا باسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا واذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم الى ثلاث خصال »

(٢) لمحة عامة الى مصر ج ٢ ص ٦١٧ . اطلب ايضاً كلامه عن هذا الامر في تقاريره عين سير المدرسة ما بين سنة ١٢٤٠ ه وسنة ١٢٤٧ (طبع باريز سنة ١٨٣٣) ص ١٤٧ — ١٤٨

(٣) اطلب حديث مفتي المنصوره مع الرحالتين ميشو و بوجولا عام ١٨٣١ في هذا الموضوع في رسائل ميشو و بوجولا من الشرق ج٧ ص ١—١٤

(٤) المجلة السورية ج ٤ ص ١٦٢

سعادة الامير كاين بسبب الديانة فوالده[1] علي باشا جركسي مسلم ووالدته شريفة من اسلام جبلة والمعلم حاييم اعتنى بتربيته وتعليمه على يد المشايخ المتعصبين حتى صار اشد منهم تعصباً"[2]. وقال الدكتور مشاقه نفسه : وكلما توجهت الى عبدالله باشا بدفعة اراه بنفسه ينتظر وصولي عند الصراف بالخزينة فيسألني اهل ابقيت مال اليزيدي[3] وحده كما اوصيتك اجيبه نعم فيقول للصراف الشيخ عباس ان الكيس الذي يخبرك عنه مخايل اضبط عدده واكتب فيه حافظة واختمه وارسله الى دار الحريم فيفعل كامره ففي احد المراث راجعه الشيخ عباس ما الغاية بذلك اجابه لاجل مصروفي الخصوصي كونه مال يزيدي واما غيره فهو ممزوج بمال ذميين مأخوذ منهم بغير وجه شرعي فلا يجوز لنا نأكل منه فقال له اذا كانوا سالكين بشروط الذمة فذلك صحيح واشار اليَّ وقال هل ان مخايل سالك بشروط الذمة في ملابسه وسلاحه فاختشيت من تاثير كلامه لان الباشا متعصب جداً في دينه واذ هو قد تقهقه ضاحكاً واجابه لا تحشر نفسك مع المشايخ العلماء لانه تحقق عندي جهلك وانك كبير اللحية صغير العقل فاظهر لك جهلك بسؤال هل ان الذمي يلزمه شرعاً ان نكلفه لدفع شيء غير الجزية فما بالنا نكلفه لاشياء كثيرة لا تلزمه اما كان بقتالنا مع درويش باشا الوف كثيرة منهم يدافعون عنا مجاناً وسفكوا دماءهم بخدمتنا وهكذا خدمنا الوف كثيرة منهم بمدة المرحوم عمنا لمقاومة الوهابي ولطرد كورد يوسف باشا واهلكوا كثيراً من رجالهم بدون منفعة تعود عليهم من طرفنا حال كونه لا يوجد مسلم يخدمنا الا لنفعهم الخصوصي واولهم انت ايها الشيخ المدعي بالعلم اتريد ان نعاملهم بالعهدة فهم يربحون وترجع الخسارة علينا فقل لي هل يلبسون الابيض ويتقلدون الاسلحة برضائي ام غصباً عني فاذا فعلوا [ما حتمنا عليهم] فيبقى لهم مالنا

---

(١) اي والد عبدالله باشا

٢) الجواب على اقتراح الاحباب — خط — نسخة جامعة بيروت الاميركية ص ١٧٦

(٣) اي مال الشيخ بشير جنبلاط بحسب القرينة

وعليهم ما علينا ولكن اذا نهيناهم ولم ينتهوا فيحل لنا ان نعاملهم معاملة الشقاق فيازمك قبل ان تتكلم تتعلم[1]

وثانياً لان سماحة الشيخ عبد السلام افندي الطبري مفتي طبرية سابقاً وحضرة السيد عبد القادر افندي القباني يشهدان بحسن سيرة الباشا و بتمسكه بنصوص الشريعة الغراء وكلاهما مسن بلغ الثمانين فما فوق ونقل روايته هذه عن ابيه والابوان عرفا الباشا معرفة جيدة . وكذلك فان الشائع اليوم على السنة المسلمين في جهات عكة والناصرة وطبرية وصفد ينطبق تمام الانطباق على هذا الحديث المتسلسل الصحيح[2]

وثالثاً لان قسماً مهماً من اقوال عبدالله وافعاله يشهد له بهذا الحرص وهذه المحافظة على التقاليد الدينية القديمة . فانك لو طلبت اوامره الى اعيان ايالته في مجموعة جامعة بيروت الاميركية وفي تاريخ الامير حيدر الشهابي ومخطوطة القس بطرس حبيش — لو طلبت هذه الاوامر لوجدت عدداً وافراً منها مشبعاً بالدين اشباعاً تاماً ومملوءاً بحسن المعاملة والعدل والانصاف والشفقة والرحمة[3] ومما هو جدير بالذكر

---

(١) الجواب على اقتراح الاحباب ص ١٩٩ — ٢٠٠

(٢) اطلب راي مسلمي بيروت في عبد الله باشا عام ١٨٢٦ كما ترويه مخطوطة القس بطرس حبيش في المجلة السورية ج ٤ ص ٢٧ : «فعظم ذلك على اسلام بيروت وتغيرت محبة عبد الله باشا من قلوبهم الى البغضة وكذلك عبد الله باشا ابغض اهالي بيروت بما ابدوه الاسلام من النهب من امتعة النصارى ثم بلصهم الباشا بخمسماية كيس نظير ما سلبوه»

(٣) اطلب في مجموعة جامعة بيروت الاميركية ترتيباته القضائية في طبرية وارشاداته الدينية الخصوصية الى الشيخ عبدالله الطبري حيث يقول «نكرر الخطاب على نايب افندي يلزم من فضيلتكم تدققوا في معنى امرى هذا الذى هو ناشي عن قريحتي ومستنبط من صريح امر الله تبارك وتعالى واطاعته موجبه لسلامة الدارين بسبب تعزيز الشريعة الغرا واجراء الحكم الشرعي كما انزل ومخالفته موجبة لوخامة الدارين فيلزم تمعنوا في امرى هذا ولا تؤثروا الدنيا على الاخره وشرفوا انفسكم بالدخول في زمرة العلماء العاملين الذين مدحهم الله تعالى في قوله عز من قايل انما يخشى الله من عباده العلماء ولا تاخذوا على فصل الدعاوى والافتا شيئاً ما جل اوقل وتستكفوا بما عيناه لكم » واطلب اوامره الى الشيخ عبدالله القاهوم في الناصرة . راجع ايضاً امره بعزل الشيخ سعيد المصطفى من حاكية

في هذا الصدد زهده الزائد في اواخر حياته وطلبه الخصوصي ان يقضي نحبه في المدينة المنورة وان يدفن فيها . وقد ذكر لنا سماحة الشيخ عبد السلام بك الطبري بيتين من الشعر نظمهما عبد الله قبيل وفاته في يثرب وارسلهما الى صديق له من علماء لوبياء قال في مطلعها : « اذا كان اهل الكهف اكرم كلبهم » ولا يخفى ما في هذا القول من علامات الزهد والتقوى والتمسك بشفاعة الرسول العربي المصطفى

***

ولكن لو سلمنا مع علماء ذلك العصر وقلنا ان محمداً خرج عن دينه ببعض افعاله وتغييراته وانه حقيقة اباح بعض ما كان يعتقده المسلمون في ذلك الوقت منكراً ولو قلنا ان عبد الله كان من المحافظين على عوايد ذلك الدين وتقاليده لو قلنا هذا كله لما صح لنا ان نستنتج ان عبدالله قاوم محمداً لهذه الاسباب لان قول عبدالله يفتقر الى تزكية تاريخية ولا سيما وانه هو خرج على السلطان عام ١٨٢١ (١) وانه هو اباح بعض ما كان قد اباحه محمد من قبله (٢) وكذلك فان منشوره هذا الى اهالي البيت المقدس اعلن في اوائل النزاع بينه وبين عدوه المصري ومن المحتمل ان يكون قد توخى به مصلحته المادية والادبية فيصبح ضرباً من الدعاية السياسية التي تكثر في اثناء الحروب والفتن والتي تنشر لتأييد المقاصد والمآرب واستهواء العامة واستغواها لا لاظهار الحقائق باكملها . نعم ليس في امكان المؤرخ اليوم ان يثبت حقيقة تاريخية كهذه ما لم يتوفر لديه عدد كافٍ من التزكيات الفنية . وليس لدينا الان

القدس في سجل محكمتها الشرعية تحت تاريخ ٢١ جمادى الاولى سنة ١٢٤٧ . اطلب كذلك شفقته على الرعايا في نصوص المخطوطة الحبيشية — المجلة السورية ج ٣ ص ٣١٢ و ج ٤ ص ٢٦ — ٢٧ و ١٨٣ . وراجع راي المسيو هنري جيز (قنصل فرنسة في بيروت وقتئذ) في سياسة عبدالله المالية في كتابه بيروت ولبنان (طبع باريز سنة ١٨٤٧) ج ٢ ص ١٢٣ — ١٢٤

(١) كتاب اخبار الاعيان للشيخ طنوس الشدياق (طبع بيروت سنة ١٨٥٩) ص ٥٣٢ — ٥٤٠

(٢) المخطوطة الحبيشية — وتقارير القنصل كاتافاكو — المجلة السورية ج ٤ ص ٢٦ و ١٦٣ راجع ايضاً مخطوطة مشاقة المشار اليها آنفاً ص ١٩٩ — ٢٠٠

سوى تزكية واحدة نقلها الينا عن ابن اخت الباشا الرحالتان الافرنسيان ميشو وبوجولا المشهوران [1] . ولا يخفى ان ابن الاخت لا يزكي اقرار خاله في احوال كهذه ولا سيما اذا كان هذا يرجو نفعاً من ذاك . ولكن لو خالفنا شروط التزكية التاريخية وقبلنا شهادة ابن اخت الباشا في امر يهمه لما تمكنا من اثبات الحقيقة التي نحن بصددها لانه لا بد لنا من تزكيتين على الاقل مستوفيتي الشروط

اذاً جل ما يمكننا ان نقوله « اليوم » عن هذا الامر كله هو هذا : ان عبدالله حقيقة قال عام ١٨٣١ انه قاوم محمداً لخروجه عن دينه واباحته المنكرات واستعباده المخلوقات وان عبدالله كان من المحافظين على التقاليد الدينية القديمة اللهم اذا هي لم تناقض مصالحه ومصالح حكومته المهمة

---

(١) رسائل ميشو و بوجولا من الشرق ج ٥ ص ٥٣٣ — ٥٣٦

دمشق تتقرب الى عكة

بينما كان لبنان يخف لنجدة مصر عام ١٨٣١ م ويقدم لها المساعدة الواحدة تلو الاخرى فيجاهر بالخروج على السلطان [1] ويقاتل في سبيل الشقيقة في طرابلس قتال الابطال ويؤمن الذخائر والمؤمن في سهل البقاع ويقوم بحفظ الامن في القسم الكبير من البلاد المغلوبة ويلبي الطلب في هذا الامر وذاك [2] بينما كان لبنان يصدق هذا السعي لمصر ويبذل طوقه في سبيلها كانت دمشق تتقاعص عن مساعدة الفاتح المصري وتنقبض عن اسعافه. وزاد تطرفها في هذا الامر الى ان اقفلت ابوابها في وجهه وتجهزت لحربه فتصدت له بالقرب من داريا قاصدة قطعه عن عزمه وإحالته عن قصده [3]

هذه حقيقة تاريخية كنا نرددها بالامس ولانزال نقول بها اليوم. ولكن طالما توخينا وحاولنا ان نعرف اسبابها فاعترضتنا عقبة السكوت في بعض الاصول والغموض في غيرها فحبستنا عن حاجتنا. ولم يتوفر لدينا وقتئذٍ مع معالم الطريق سوى بعض الروايات المبهمة او الممرَّضة في مخطوطتي برلين [4] ولندن [5] وكتاب الدكتور

---

(١) قال القس انطون الحلبي في رسالته الى البطريرك يوسف حبيش بتاريخ ٢ كانون الثاني سنة ١٨٣٢ ما يأتي: « نعرض حضر تاتار من الاستانة ومعه تحرير لسعادة الامير بشير من وكيل الصدر الاعظم ومن الصارى عسكر فحواه ان سعادته يكون في خاطر عكه والجواب رجع من سعادته يقول لجناب الامير امين ان يصرف التاتار ويفهمه ان ما في جواب بل حين الدوله تبقي تسال عن رعاياها تبقي الرعايا تسال عن خاطر الدولة هذا هو الجواب لساناً فقط » مجموعة بكركي ومجموعة جامعة بيروت الاميركية تحت تاريخ سنة ١٨٣٢ (٢) اطلب مخطوطة القس انطون الحلبي كما ضبطناها عام ١٩٢٧ ج ١ ص ١ — ٢٣ وكذلك كتاب اخبار الاعيان للشيخ طنوس الشدياق تحت اخبار سنة ١٨٣١ و ١٨٣٢

(٣) راجع ما قاله قنصل فرنسا في عكه وقتئذ في المجلة السورية ج ٤ ص ١١٦

(٤) منها نسخة بالروتوغراف في مكتبة جامعة بيروت الاميركية وقد نشرها منذ سنتين او اكثر الخوري قسطنطين باشا تحت هذا العنوان مذكرات تاريخية — حريصا لبنان

(٥) نشر بعضها الاب لويس معلوف اليسوعي بعنوان تاريخ حوادث الشام ولبنان ولعل مؤلفها هو مخائيل الدمشقي كما ورد في مقدمة الاب لويس لها

مخائيل مشاقه المشهور [١] وغيره وبعض الاخبار الفردة الغربية في كتاب كاد الفان وبارو ورسالة فيدال وغيرهما [٢] فقد جاء في مخطوطة براين في الكلام عن ثورة دمشق وقتل محمد سليم باشا عام ١٨٣١ م ما يأتي : وبعد دخول الوزير محمد سليم باشا بثلاث ايام هرب الجوربجي محمد اغا الداراني بالليل الى بيت الشوملي بالميدان فلما بلغ ذلك الوزير اغتاظ وارسل له امراً انه لا يقعد في حكمه فالتزم توجه الى عكا ولما مضى من الحصار خمسة عشر يوماً شاع الخبر ان الجوربجي الداراني الذي كان هرب الى عكا حاضر منها صحبته كيخية عبدالله باشا وقبل ان يحضر الجوربجي كانت المادة تناقصت وبعد حضوره تجسمت وقوت المتاريس والناس تواقحوا وصار الجوربجي راس الجميع وظهر ان هذه ارادة عبدالله باشا والي عكا [٣] وجاء في مخطوطة لندن ما نصه : « ومحمد سليم باشا كان يفتكر يجيه اسعاف من جهات وجميع الناس صاروا ضده من الجملة عبدالله باشا والي عكا كان يرسل يقوي عبارة اهل الشام كذا شاع عنه » [٤] وكذلك الدكتور مشاقه فانه قال في مخطوطته المشار اليها سابقاً ما ياتي : « ثم حضر من عكا الجربجي الداراني الذي كان نازحاً اليها من وجه سليم باشا والقول ان عبدالله باشا ارسله لاتمام ما جرى بعد ذلك لغاية ما لانه كان صاحب سطوة جسيمة بين كبراء دمشق » [٥] ولا يخفى ما في هذا القول جميعه من صيغة التمريض والابهام كما يتضح من قول المؤرخ المجهول في المخطوطة البرلينية « وظهر » وقول مخائيل الدمشقي « وشاع » واكتفاء الدكتور مشاقه بكلمة « والقول »

---

(١) الجواب على اقتراح الاحباب منه نسخة قديمة في مكتبة جامعة بيروت الاميركية . اما الاصل الذي هو بخط المؤلف فانه لا يزال محفوظاً لدى جرجس بك صفا في بيروت

(٢) Cadalvene et Barrault, Guerre de Syrie 151 — 152 ; H. Vidal, Bulletin de la Soc. de Geog. Juillet, 1836, 20.

(٣) مختصرة عن الاصل . اطلب ما طبعه الاب قسطنطين الباشا — مذكرات تاريخية — ص ٥ و٧ و٢٢ — ٢٥ و ٣٨

(٤) تاريخ حوادث الشام ولبنان لناشره الاب لويس معلوف اليسوعي (طبع بيروت سنة ١٩١٢) ص ٥١ .

(٥) نسخة جامعة بيروت الاميركية ص ٢٣٣ — ٢٥٣

وكذلك فان قول المؤرخين الافرنج المشار اليهم آنفاً لا يخلو من الترجيم ولا يخرج بعضه عن حد المظنونات. غير انامع اقرارنا بهذا التمريض والترجيم والابهام كله كنا نأمل ان نستبصر بهذا القول عن مقتل محمد سليم باشا فنكشف القناع عن موقف الدمشقيين الحقيقي تجاه النزاع الذي وقع بين والي عكة وعزيز مصر وقتئذٍ ونحسر اللثام عن امیالهم السياسية

وهكذا جرى فاننا توفقنا والحمد لله عام ١٩٢٧ فوجدنا في سجل المحكمة الشرعية بمدينة دمشق رسالتين من عبدالله باشا الى اهالي هذه البلدة يرجع عهدهما الى سنة ١٨٣١م. ويدور منطوقهما حول مقتل سليم باشا وخروج محمد علي باشا الى سورية ومع اننا لا نجد في هاتين الرسالتين نصاً صريحاً على حقيقة موقف الدمشقيين آنئذٍ فانه بامكاننا الآن ان نبدأ بالخروج من حيز الظن الى جهة الترجيح واليقين — ترجيح ما اومأته الينا به تلك المقدمات وما صوّره لنا ذلك الظن

نص الرسالة الاولى : بيورلدي بختم كبير من حضرة عبدالله باشا والي عكا صدر الموالى العظام عمدة العلماء الكرام ونخبة الفضلاء الفخام ذو الفضل واليقين رافع اعلام الشريعة والدين وارث علوم الانبياء والمرسلين المختص بمزيد عنايات الملك [المعين] قاضي محروسة دمشق الشام حالا افندي زيدت فضائله وافتخار العلماء الكرام وزبدة الفضلاء الفخام الماذون بالافتا افندی [زيدت] علومه وفرع الشجرة الزكية وطراز العصابة الهاشمية قايمقام نقيب الاشراف افندی زید شرفه ومفاخر اقرانهم علماء المدينة واعيانها ووجوهها وارباب التكلم بوجه العموم زيدت مقاديرهم بعد السلام التام بمزيد الاعزاز والاكرام المنهى اليكم اطلعنا على عرضمحضركم المتضمن التخبير عما حصل من المرحوم محمد سليم باشا وقتله كتخداه وما حصل بهذه الحركة بينه وبين الحراس وقتله ثلاثة انفار منهم وانه اخيرا جاس على صندوق باروت وقوصه بيده فاحترق هو والاوده بما فيها فلما بلغ ذلك اعيان البلدة توجهوا اخرجوا اتباعه بالسلامة وسيروهم من الشام بالامن والحراسة وحررتم الموجودين التي

بالاوده التي احترقت بالمشار اليه واما امين بك افندي المأمور من طرف حضرت ولي نعمتنا الدولة العلية صانها وحرسها رب البرية فهو مقيم بالراحة والرفاه في قوناق احدكم الحاج محمد اغا الداراني وجميعا شرحتوه واعرضتوه صار معلوم فنخبركم ان قبل تاريخه عرضمحضركم الذي ارسلتموه لطرفنا قدمنا اعراضه لجناب العتبة العلية الملوكية فلا زالت على الدوام مصانة ومحمية صحبة سرتاتاران بابنا والان عرضمحضركم هذا قدمنا اعراضه ايضاً لجانب العتبة العالية الملوكية صحبة تاتاران بابنا ونحن بانتظار الاوامر الشريفة والارادة السامية الشاهانية بمصلحة ايالت الشام المراد تكونوا متنبهين لحفظ الموجودات وراحة البلدة الى حين ورود الاجوبة لنا من جانب حضرت ولي نعمتنا الدولة العلية والسلطنة السنية اعز الله تعالى انصارها وقوى شوكة اقتدارها فبناء على ذلك اصدرنا لكم بيورلدينا هذا من ديواننا في قلعة النصر داخل دار الجهاد محروسة عكا المحمية عن يد رافعه فبوصوله ووقوفكم على مضمونه تعلموه وتعملوا بموجبه وتعتمدوه غاية الاعتماد في غرة ج سنة ١٢٤٧ قيد سند في ٦ ج سنة ٤٧ بختم صغير

نص الرسالة الثانية : بيورلدى بختم كبير من عبد الله باشا والي عكا صدر الموالي العظام عمدة العلماء الكرام ونخبة الفضلا [الفخام] معدن الفضل واليقين رافع اعلام الشريعة والدين وارث علوم الانبياء والمرسلين قاضى محروسة الشام حالا مولانا افندى زيدة فضائله وافتخار العلماء الكرام ونخبة الفضلاء الفخام الماذون بالافتا بها افندى زيدة علومه وفرع الشجرة الزكية وطراز العصابة الهاشمية قايمقام نقيب السادة الاشراف افندي زيد شرفه ومفاخر العلما الكرام ونخبة المدرسين الفخام وزبدة العلماء العظام علماء المدينة ومدرسينها وصلحائها زيدة علومهم وفضلهم وصلاحهم ومفاخر الاماجد والاعيان وجوه واعيان المدينة وارباب التكلم ومقارشين الامور زيد مجدهم وقدرهم بعد التحية والتسليم بمراسم الاعزاز والتكريم والسوال عن خواطركم المنهى اليكم اطلعنا على عرضمحضركم المتضمن توارد الاخبار لطرفكم عن قدوم عسكر والي مصر الى ايالات بر الشام ودخوله الى غزة و يافة وانه

مرسل مراكبه بحرا وبوجه الفراسة تحققتم ان ذلك خروج على السلطان لزم عقدتم مجلس عمومي بحضور جميعكم وتفاوضتم بامر هذا الخارجي والجميع منكم بقول واحد وقلب واحد اتفقتم ان جميعكم عبيد حضرة ولي نعمتنا الدولة العلية والسلطنة السنية اعزالله انصارها وقوى شوكة اقتدارها واعدا لمن عاداها واصدق لمن صادقها وجميعكم بهذا الاتفاق كجسم واحد باطاعتنا وتحت اوامرنا وجميعا شرحتوه ووضحتوه حرفا بحرف صار معلوم فنخبركم ان الامر كما تحققتم ووالي مصر بوجه الخروج على السلطان تجرأ على الفعل الوخيم العواقب وارسل عساكره وتكناته المنحوسة لاجل الاستيلاء على هذه الممالك الشامية التي هي وايالت مصر ايضاً ملك حضرة مولانا السلطان نصره العزيز الرحمن ومن المحقق تقارب الاجل وحلول اوان زوال النعم اغراه لهذا الخروج الذي عواقبه الدمار والبوار وقلع الاثار ولقد اصبتم بما عقدتم عليه رايكم واتفقتم عليه بقلوبكم وهو بلا شك موجب لكم سعادة الدارين ولقد انحظينا الحظ التام من ارتباطكم للخدامة الصادقة امام حضرة ولي نعمتنا الدولة العلية صانها وحرسها رب البرية اذ نحن بحوله تعالى وقوته وباهر جلال عظمته بغاية القوة والاستعداد والنشاط التام لخدامة حضرة ولي نعم العالم وسبب امن وراحة بني ادم ظل الله الظليل سلطان السلاطين وخاقان الخواقين اعزه الله بنصره المبين وقهر اعداه الخاسرين انكان بلقاء هذا الخارجي وضربه وتدميره وانكان بجميع الخدامات والماموريات فانتم يلزم تقووا اعتصابكم واعتضادكم هذا وتنشطوا العزايم الاسلامية بهذا الاتفاق الحسن الذي فيه خير الدنيا والاخرة وتكونوا منتظرين اوامرنا فبناء على ذلك اصدرنا لكم بيورلدينا هذا من ديواننا في قلعة النصر داخل دار الجهاد محروسة عكا المحمية بوصوله واطلاعكم على مضمونه تعتمدوه غاية الاعتماد وتداوموا على خير الدعا بالاماكن والاوقات المظنونة الاجابة بدوام سرير سلطنة حضرة مولانا السلطان نصره العزيز الرحمان وخلد سرير سلطنته العظما الى انتهاء الزمان وانقراض الدوران هذا ما لزم اخباركم والدعا   في ١١ ج سنة ٢٤٧   قيد سند ١٤ ج سنة ٢٤٧

اثبات الاصلية واقرار المضمون : نحن نرجح لا بل نكاد نؤكد ان هاتين الرسالتين اصليتان خاليتان من التزوير وذلك للاسباب نفسها التي خولت لنا هذا الاستنتاج في المقالة الماضية . ويصح لنا بناء على هذا الاثبات للاصلية ان نقول الان كما قلنا وقتئذٍ ان اهالي دمشق وعدت عبدالله باشا خيراً فقال انه اتعد وانها قالت انها فعلت ذلك لخروج محمد علي باشا على السلطان وان عبدالله شدد عزائمهم ونشط قلوبهم . وكما اضطررنا في مقالتنا الماضية ان نطلب التزكيات الفنية لاثبات كلام عبدالله باشا في سبب النزاع بينه وبين محمد علي باشا هكذا نجد انفسنا مضطرين لطلب تزكيتين على الاقل مستقلتين الواحدة عن الاخرى لتأييد كلام الدمشقيين في سبب انقباضهم عن اسعاف الباشا المصري ومقاومتهم اياه . ولما كان هذا العدد والنوع من التزكيات الفنية غير متوفر لدينا الان لا نرى مناصاً من الاكتفاء بالقول ان الدمشقيين « قلوا » انهم قاوموا المصريين لان هؤلاء خرجوا على السلطان وانهم — اي الدمشقيين — اشتهروا بتعصبهم ومحافظتهم على التقاليد القديمة دينية كانت ام اجتماعية[1]

ولكن هل هذا كل ما في الامر ام هنالك دُخلة مكنونة لا بد لنا من اظهار بعضها واماطة اللثام عنها . نقول نحن على مرية من امر مقتل الباشا كما ورد في الرسالة الاولى وقد ترددنا ولا نزال نتردد في صحته لغرابته ومخالفته الاصول المعروفة . قال المؤرخ الدمشقي المجهول واضع مخطوطة برلين المشار اليها سابقاً : « وفي الساعة الواحدة من الليل احضروا كيخية سليم باشا وخاله من بيت المفتي الى عنده وقالوا لهم ان الوزير طالبكم ودخل اولاد البلد الساعة الرابعة من الليل قتلوا كيخية الوزير وخاله والقبجي والسلحدار والخزندار والمهردار وكان الوزير حينئذ

---

(١) اطلب كلام المسيو بودان قنصل فرنسه في دمشق آنئذ في المجلد الثاني من رحلة بوجولا والصفحة ١٦٥ — ١٦٩ (Paris, 1841) Poujolat ; B— Voyage dans l'asie Mineure etc.

في القاعة فسمع العكرة بارض الدار فسكر الباب من جوا وكان عنده مملوك وطواشي صاروا يدكوا له وهو يقوص حتى قتل ستة انفار من اولاد البلد وبعد هذا طلع ناس الى ظهر القاعة حفروه ونقبوه وقوصوه فرموه واناس علقت النار في باب القاعة ... وهو وقع من القواص فلحقته النار احترقت ذقنه وشواربه وتشاوط كل بدنه ولا يعاد ينعرف شكله »[١]. ويزكي قول هذا المؤرخ ما جاء في الجواب على اقتراح الاحباب للدكتور مشاقه، وفي حوادث الشام ولبنان لمخائيل الدمشقي وكتاب الروضة الغناء لنعمان القساطلي[٢]. ولا يخفى ما في هذا القول المزكى من المناقضة لقول الدمشقيين انفسهم فهم يقولون ان سليماً قتل نفسه والمؤرخون المعاصرون يقولون انهم هم قتلوه. فاي القولين نقبل؟ نقول تدل محتويات المخطوطة البرلينية ان كاتبها كان دمشقياً[٣] من وجهاء الطائفة الارثوذكسية المسيحية وانه كان في امكانه ان يشاهد بعض ما يرويه عن مقتل الباشا وانه كان يدون رواياته حين وقوع حوادثها او بعد ذلك بزمن يسير. هذا ولا نعرف له مصلحة كان بامكانه ان يخدمها بقوله هذا او ظروفاً كانت تضطره لتزوير شيء عن مقتل الباشا او انه كان يتودد للعامه فيكتب ما يرضيهم فهو لم يذكر اسمه ولا مهنته ولم يقصد نشر مخطوطته على ما نعلم[٤]. وكذلك فان الدكتور مشاقه ونعمان القساطلي اشتهرا بنباهتهما وتدقيقهما وامانتهما ايضاً[٥]. اما عريضة الدمشقيين فانها وضعت لاستعطاف اولياء الامر آنئذٍ وكتبها اناس اتهموا بقتل الوالي نفسه وعرفوا بانخراعهم من جراء ذلك

---

(١) المذكرات التاريخية (طبع حريصا) ص ٢٩—٣٠،

(٢) ص ٢٣٣ من الاول وص ١٥—٥٢ من الثاني وص ٨٨ من الثالث

(٣) او من المقيمين في دمشق

(٤) هذه حقائق توصلنا اليها بالطريقة نفسها التي شرحناها في مقدمتنا لمخطوطة القس انطون الحلبي —حروب ابراهيم باشا في سورية وبر الاناضول— والتي خولت لنا آنئذٍ شيئاً من هذا الاستنتاج نفسه

(٥) هذه شهادة والد الاستاذ ستيورات كروفرد الذي عرف مخائيل ونعمان معرفة جيدة وهي شهادة الكثير من معارفهما ايضاً

وخوفهم وجبنهم [١] . وبناء على هذا كله نرى انفسنا مضطرين الان ان نرجح صحة اقوال المؤرخين المعاصرين ونكذّب رواية الاعيان الدمشقيين .

فاذا صح ان الدمشقيين قتلوا واليهم وانهم حذروا بطش الاستانة من جراء ذلك فاظهروا علامات الجبن والخوف وانهم فاوضوا عبدالله باشا في الامر وطلبوا اليه ان يتوسط بينهم وبين الاستانة ويستعطف السلطان عليهم . واذا صحت الاشاعة انه كان لعبدالله يد في مقتل الباشا — اذا صحت هذه الامور جميعها افلا يصح لنا ان نقول ان ما اقترفه الدمشقيون من الاثم في مقتل الباشا وانخراعهم من عقابه ربما كان سبباً من اسباب اتحادهم مع عبدالله باشا ومقاومتهم للفاتح المصري ؟

(١) اطلب كلام الرحالة فيدال الافرنسي المشار اليه سابقاً وكلام المؤرخين الافرنسيين كادالفان وبارو ايضاً

بشائر الفتح المصري

نهج ابراهيم باشا المصري سبيل بونابارته في حروبه في مصر وسورية فسلك طريقته في فتح فلسطين وقفا إثره في حصار عكة . ويقول المؤرخ الافرنسي المعاصر ده فولابال ان الفاتح المصري لم يتف عند هذا الحد في الاقتداء به بل انه جرى على منهاج الافرنسي الكبير في مناشيره واخباره فالحق بمعسكره في سورية مطبعة لاذاعة الانتصارات في الانحاء والاقطار ولا سيما القطر المكتسح آنئذٍ وان هذه المناشير والاخبار الرسمية كانت تطبع باللغتين العربية والتركية وتترجم للافرنسية ترجمة رسمية في المعسكر نفسه[1] .

نقول حاولنا مراراً في الماضي أن نقف على بعض هذه المناشير العربية المطبوعة فأخفقنا ورُددنا بالخيبة . ومع اننا لا نزال محدودين في امرها محرومين المطلب فاننا ظفرنا منذ عهد قريب ببعض المخطوط من نوعها لدى حضرة الوجيه الفاضل ابراهيم بك عبد الهادي في نابلس فلسطين وفي سجل المحكمة الشرعية بمدينة طرابلس وفي

---

(١) اطلب كتابه في تاريخ مصر الحديث (طبع باريز سنة ١٨٣٠ — ١٨٣٦) ج ٢ ص ٤٢٦— ٤٢٧ وص ٤٤١ — ٤٤٢ . واطلب ايضاً بعض هذه المناشير بالافرنسية في اخر كتاب ادوار غوان — مصر في القرن التاسع عشر — وكتاب كادالفان وبارو عن حرب محمد علي باشا في سورية وبر الاناضول . راجع كذلك رواية الدكتور مخائيل مشاقة في مخطوطته المشهورة كما نشرناها في رسالتنا عن عكة واستحكاماتها في عهد ابراهيم باشا ص ٥٥ . وما جاء في مخطوطة القس بطرس حبيش — المجلة السورية ج ٥ . اما الوقائع المصرية فاننا لا نعرف منها شيئاً يرجع الى هذا العهد — اطلب كلام توفيق بك اسكاروس في مجلة الهلال ج ٢٨ ص ٩١٩

قنصلية بريطانية في بيروت وفي مكتبة الاباء اليسوعيين في البلدة نفسها . وها اننا ننشر الان بعض ما وجدناه من هذه الرسائل الرسمية المخطوطة تعميماً لفائدتها التاريخية وحرصاً عليها من الضياع

يوم الزراعة: فخر المشايخ المكرمين اخينا الشيخ حسين(١) حفظه الله تعالى قبل الان عرفناكم عن حلول ركاب سعادة افندينا ولي النعم السر عسكر المعظم في مدينة حمص وان مصمم سعادته على القيام الى حماه لاجل تنكيل وتدمير الاعدا غير ان بعدم وجود الذخيرة مع سعادته ولعدم وجودها في حمص صدره امره الكريم الى جناب الاخ الامير قاسم الشهابي بارسال ذخيرة من الذخاير الموجودة في زحله الى بعلبك وتحرك ركابه الشريف من حمص لجهت بعلبك لاجل اخذ الذخاير اللازمة والتوجه لجهت حماه لضرب الاعدا فمن بعد حركت الركاب من حمص بلغ الاعدا ذلك فارسلوا عساكرهم بقصد الحرب مع سعادته بالطريق ففي سهل قرية الزراعه حصلت المقابله ودارت رحا الحرب مع عساكرنا الخياله فقط وهم الاي جهاديه خيل مع باقي خيال العرب واما الجهاديه المشاه ما تحركوا لهذا الحرب ابداً وبحمد الله ومنته عساكر الاعدا ما قدرت على الثبات اكثر من ساعه وحاق بها الوبال وبيس المآل وولوا الادبار ونادى مناديهم الفرار الفرار فعند ذلك لحقتهم العساكر المنصوره وظفرت بهم ظفر الاسود الكواسر وجملة الذي قتل من الاعدا ينيف عن مايتين نفس غير المجاريح واخذ منهم ثلاثماية حصان ومن العساكر المنصوره فقد خيال واحد من الجهاديه وجرح خيال من العرب وجرحه سليم ومن حيث ان هذه البشره توجب السرور لكافة عبيد سعادة افندينا ولي النعم ورعاياه وان شاء الله هي اول بشاير انتصارات سعادته اقتضى بشرناكم بها ليكون معلومكم ذلك وتداوموا على تادية الدعا بدوام وتاييد دولته السنيه في ١٩ ق سنة ١٢٤٧

ابراهيم

الختم مير ميران وكيل سر عسكر مصر حالا

---

(١) اي الشيخ حسين عبد الهادي كما سيجيء بك

فتح عكا : افتخار الاماجد والاكارم حاوي صنوف المكارم[١] بربر زاده السيد مصطفى اغا متسلم محروسة طرابلس الشام حالاً . بعد السلام المنهي اليكم انه امس تاريخه يوم الاحد المبارك قد هجمت عساكرنا المصرية الظافرة بالقوة والسطوة القاهر[ة] علي عكه المندكه وبالحال صعدوا الى اسوارها وتملكوها ووطئوا ابراجها الرفيعة بارجلهم وداسوها بقوة الحرب والنار الدايمة ولما ان الاعدا لم يتملكوا الطاقة للثبات امام عساكرنا ولم يحتملوا شدة حربنا في الحال رفعوا الرايات وطلبوا الامان ومن حيث ان العفو صدقة الظفر فرحمة منا علي الحريم والاطفال وفقرا الاهالي الذين داخل عكا قد انعمنا بالامان والراي[٢] الى الجميع واخرجنا عبدالله باشا وكتخداه ودايرته الى اوردينا المنصور واستولينا علي عكه عنوة وقهراً والحمد لله رب العالمين فلاجل اعلان هذه البشرى الموجبة السرور والافراح الى الجميع حررنا لكم مرسومنا هذا من ديوان معسكر عكا لتعلنوا مضمونه بالشنك والسرور وتداوموا على الدعوات الخيرية بدوام دولة افندينا ولي النعم والدنا المعظم في ٢٨ ذي الحجة سنة ٤٧

بختم سعادة الدستور الجسور

الحاج ابراهيم باشا المعلوم

الشام وحلب : قدوة القضاة والحكام معدن الفضل والكلام مولانا الحاكم الشرعي بمحروسة حلب الشهباء . حالاً افندى زيد فضله وافتخار العلماء الكرام ذوى الاحترام الماذون بالافتى بها حالاً افندى زيد علمه وفرع الشجرة الزكيه وطراز العصابة الهاشمية قائمقام السادة الاشراف بها حالاً زيد شرفه وافتخار الاماجد والاعيان ذوى القدر والاحترام والشان امراء . . . . وعلماء وخطبا ووجوه ومعتبرين حلب بوجه العموم يحيطون علماً بعد السلام التام بمزيد الاعزاز والاكرام المنهى اليكم انه لقد خرجنا من مصر القاهره بالعساكر الوافرة الظافره واتينا عكا ذات الاسوار

(١) ولعلها كانت في الاصل هكذا : حاوي صنوف المحامد والمكارم كما في سائر الرسائل الى مصطفى اغا بربر (٢) راي التركية

الشامخه والابراج الراسخه وجعلنا عساكرنا حولها كانها البنيان المرصوص يقاتلون في سبيل الله صفا و . . . ومدافعنا على اسوارها العريض جدارها يسالونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً (١) فدخلناها عنوةً بالعز والنصر وقبضنا على اميرها عبدالله باشا وارسلناه اسيراً لمحروسة مصر ومن ثم اتينا الشام ذات الابتسام فلاقتنا بوجه عبوس واردات محاربة عساكرنا الضراغمة الشوس فلم يكن اقل من ساعة [حتى] دخلوا جميعاً تحت نير الاطاعة فدخلناها بسلام بعد التسليم وتلى سيفنا على نار فتنة هذه الاقطار يا نار كوني برداً وسلاماً على ابراهيم (٢) وقد بلغنا بانه موجود بعض باشاوات ومعهم عساكر متحشدين في حماه وتلك الجهات فاننا سنجد وراهم بالطلب ولا بد بانهم سيركنون الى الهرب ويقصدون حلب فاياكم تقبلوهم في بلدتكم او تمكنوهم يتوطوا خطة في مدينتكم ولا تغرنكم الحرباء بقرنيها ولا تظنوا بان الحرباء تعيق الشمس بعينيها فمن تكن برسول الله نصرته ان تلقه الاسد في آجامهم تجم والسلام

معركة حمص : قدوة وافتخار الاماجد الكرام ذوي المجد والاحترام متسلم طرابلس الشام حالا بر بر زاده السيد مصطفى اغا زيد مجده غب التحية والتسليم بمزيد الاعزاز والتكريم المبدي اليكم انه امس تاريخه نهار السبت المبارك الواقع في ٩ شهر صفر سنة ٤٨ الساعة في السبعه من النهار قد كان ابتدأ وصول عساكرنا المنصوره التي بمعية ركابنا الى بحرة حمص وفي تلك الساعه نفسها نظروا قدومنا العساكر الخيل التركيه المتحشدين بمعونة الباشاوات بمدينة حمص وحالا هجمت عليهم العساكر المنصوره خيالة الجهاديه والعرب وضربوهم [وشتتوا] شملهم واذاقوهم كؤس الوبال والنكال فقد ولو هاربين والى النجاة طالبين فاتبعوا اثارهم عساكرنا المظفره فظهر امامهم اربع الايات عساكر نظام استيانيه ليه (٣) قرابه (٤) وثلاث الايات خيالة فعند ذلك تقدمت لمحاربتهم باقي العساكر المنصوره وترتبت الصفوف على الرسم البديع وهجموا عليهم هجوم الاسود

(١) يسألونك عن الجبال كما في سورة طه لا عن الحال كما في مخطوطة الاباء اليسوعيين
(٢) وسلاماً كما في سورة الانبياء لا وسلام منا كما في مخطوطة الاباء اليسوعيين
(٣) ولعلها في الاصل هكذا : استانه يه (٤) بفتح الراء وتشديدها

الكواثر واذاقوهم كوسا المنايا بطعن الحرب وفتك السيوف البواتر ولم يحتملوا سوى ساعة واحده الا وولو الادبار صارخين الفرار الفرار من بعد ان وقع منهم ما بين قتيل ومجروح ينوف عن الف وخمسماية نفر واخذ منهم اسري بمسك اليد ما ينوف عن الفين وخمسمايه من ضمنهم ارطتين قد كانوا ابقوهم في قلعة حمص للمحاصره عندما كانو عزمو علي الهرب مع جانب عساكر ارناوود بمجرد حلول ركابنا في اردي الباشاوات الفارين في صحرا حمص واستيلانا علي اطوابهم وخيامهم وجبخاناتهم وساير ذخايرهم وصاروا جميعهم غنيمة لنا فالارطتين والعساكر الارناوود الذين كانو في القلعه عندما نظرو هذا الهول المريع والظفر البديع استغاثو وطلبو الامان فحيث ان العفو زكاة الظفر قد اغثناهم ومرحمة منا اعطيناهم الامان وخرجو من القلعه امنين مطانين فنحمده تعالي علي هذه النعمة العظيمة والموهبة الكبيرة الجثيمة فالان لاجل تبشيركم اصدرنا لكم مرسومنا هذا فيلزم منكم بوصوله تشهرو ذلك الي كافة الرعايا بعمل شنك واعلان البشاير الي ساير المقاطعات والبلاد لكي يكونو جميعهم دايما متبادرين علي تادية الدعا الخيري بدوام دولة وتايد صوله سعادة افندينا والدنا المعظم وقهر اعداه المخذولين علي ممر الايام والسنين اعلموه في ١٠ ص سنة ٤٨

الحاج ابراهيم

سر عسكر مصر

بشرى باخذ حلب : افتخار الاماجد والاكارم حاوي المكارم بربر زاده السيد مصطفى زيد مجده غب التحية والتسليم براسم الاعزاز والتكريم المنهي اليكم مقدمه جتوه لكم مرسوم افاده عن حلول ركابنا في حمص بعد ضرب الباشاوات الذين كانو محشودين بها وقتل ومسك اسرا من عساكرهم ينوف عن اربعة الاف نفر وحروبهم بما بقي معهم وفي اثني توجههم بالطريق صودف حضور حسين باشا السردار القادم من الاستانه لمعاونتهم بما معه من العساكر وترافقوا سوية حتى اسرعوا بالدخول لمحروسة حلب وقصدو واستنجدو اهليها الضعفا وطلبوا منهم ان يعانوهم علي محاربتنا فجاوبوهم

بالواقع انهم ما لهم اقتدار علي مقابلة عساكرنا المنصوره وهم رعية لمن غلب واما نحن
بقينا لاحقينهم بقطع دابرهم على الخصوص عندما طرق مسامعنا قدوم السردار المذكور
تزايد اشتداد عزمنا ومن شدة خوفهم وجزعهم وانواع المذلة التي استولت عليهم
كانو يسيرو الليل قبل النهار وكذلك في اثنا مرورنا بالطريق كل ما حل ركابنا في مرحله
نجد جانب عساكر من عساكرهم ويحضرو لدينا طالبين الامان ويحوزونه مرحمة بهم
وفي يوم وصولنا الي مرحلة برنا وزيتا الذي هو يوم الاحد الواقع في ١٧ ص سنة
٤٨ كان بلغ الباشاوات المذكورين قدومنا فتزايد عليهم الوهم والخوف وما امكنهم
الثبات ولا ساعة واحده وليلة اليوم المذكور تركو خيامهم وجبخاناتهم ومدافعهم
وساير ذخايرهم وتحت جنح الظلام ولو هاربين والي النجاه طالبين وعندما طرق
مسامعنا ذلك ركبنا بالعساكر السواريه فقط وبحلول ركابنا بمحروسة حلب الشهبا
وجدنا من عساكرهم مقدار الف نفر فسكناهم جميعاً باليد ثم علما ووجوه واهالي
البلده حضرو لدينا مقدمين الاطاعه ومن بعد تامينهم دخلت عساكرنا الظافره
واستولت علي المدينه وكافة موجودات الباشاوات الفارين ونحن لم نزل مصممين
النيه ان نقتفى اثرهم ونقطع دابرهم عن اخرهم وبقدرة الباري تعالى لابد من
الحصول على ذلك لكي نجعلهم احدوثة بين الامم تنسي ذكر عاد وثمود ونورثهم العدم
من هذا الوجود ولاجل بشارتكم بذلك وبهذه الانتصارات الجليلة اصدرنا مرسومنا
هذا فيلزم بوصوله اعلانه علي كافة الرعايا ليكونو مداومين بتادية الدعوات الخيرية
بدوام دولة وتاييد صولة سعادة افندينا ولي النعم عزيز مصر القاهرة والدنا المعظم
مدى الايام اعلمو ذلك واعتمدوه

الحاج ابراهيم
والي جده وسرعسكر مصر

في بيلان : افتخار الاماجد والاكارم حاوي المحامد والمكارم متسلمنا بمحروسة طرابلس الشام حالا بربر زاده السيد مصطفى اغا زيد مجده غب التحية والتسليم براسم الاعزاز والتكريم المنهي اليكم انه يوم الاحد المبارك الواقع في٢٧ص سنة٤٨ قد توفق حلول ركابنا في العساكر المنصوره الى مرحلة قراموط لاجل ضرب وتدمير عساكر الدشمان المتحشدين في بوغاز بيلان والساعه سته من النهار المذكور قد تحرك ركابنا من المرحلة المذكوره بالعساكر المنصوره والاطواب المهوله و بحيث ان البوغاز المتحصنين به بالقرب الى المنزلة التي حل ركابنا بها وفي الساعه تسعه من النهار كان المصادفه من عساكر الدشمان وابتدا ضرب الاطواب عليهم و بوجود تحصنهم بعمل الطوابي وعسر الطرقات فمع هذا جميعه ما افادهم شيء سوى انه في مسافة ساعتين الذي تبقى منهم من بعد الذي قتل واخذ اسير بمسك اليد ما بين جريح وسليم قد فروهاربين وللنجاة طالبين مهرولين الى ناحيه ادنه عن طريق اسكندرونه وتركو اطوابهم وموجوداتهم وعند ذلك امرنا بتوجيه العساكر السواريه المنصوره الجهاديه وخيالة العرب لاجل اتباع اثرهم ومسكهم جميعهم بحيث لا ينفد منهم احد و بحوله تعالى لا بد من الحصول علي المراد وتدمير الجميع فبناء علي ذلك اصدرنا لكم مرسومنا هذا الكي بوصوله تعلنو هذه البشاره الي ساير المقاطعات [ليكونو] جميعا حايزين السرور والحبور على هذه النصرة العظيمه والمنة الجثيمة ويكونو مداومين بالدعوات الخيرية بدوام هذه الدوله السعيده وحفظ وجود سعادة افندينا ولي النعم والدنا الاعظم صاحب السعاده علي ممر الايام اعلمو ذلك واعتمدوه غاية الاعتماد

الحاج ابراهيم

والي جده وسر عسكر [مصر]

اثبات الاصلية : اذا اعدنا النظر في رسالة ابراهيم باشا الصغير الى الشيخ حسين عبد الهادي وتاملناها تاملاً ملياً وجدنا حبرها حبر رسالة هذا الباشا الى الحاج احمد اغا متسلم صيدا وقتئذٍ [1] . ومع ان ورق الاولى ارق من ورق الثانية فان الاثنين من نوع واحدٍ اعني به الصكوكي القديم . والاثنان استعملا في معسكر الجيش المصري آنئذٍ . وكذلك فان امضاء الرسالة الاولى هو امضاء الرسالة الثانية بالضبط نصاً وخطاً . فانك لو طلبت نص امضاء الاولى وجدته هكذا : « ابراهيم » في السطر الاول و « مير ميران وكيل » في السطر الثاني تحته « وسر عسكر » في السطر الثالث و « مصر في الرابع و « حالاً » في الخامس والاخير . وهكذا نص امضاء الثانية وترتيبه بالضبط . ومما هو جدير بالذكر في هذا الصدد كتابة الالف الثانية في الاسم ابراهيم فانها معقوفة عقفة واحدة في التوقيعين على السواء . وكذلك « شحطة » الكاف في كلمة سر عسكرٍ فانها في التوقيعين تمتد الى السطر الثاني الذي هو فوقها وتفصل بين الراء والالف في كلمة مير ميران . وهكذا الختم ايضاً فانه واحد في الرسالتين على ما نعلم . ولا يخفى ان الرسالتين مختلفتا الغرض والتاريخ والموضع ومع هذا كله فانهما متفقتان في الحبر والامضاء والختم كما تقدم . اضف الان الى هذا كله ان عنوانَ هذه الرسالة وطريقةَ تأريخها هو عنوان رسائل ذلك العصر وتأريخها ايضاً . وان محتوياتها توافق بوجه الاجمال محتويات المناشير الافرنسية الرسمية التي صدرت من المعسكر المصري وقتئذٍ والتي لا تزال محفوظة حتى الان في تواريخ كادلفان ، وبارو ، وغوان

وكذلك بشائر الباشا الكبير الى اهالي طرابلس عن فتح عكة واخذ حمص وحلب وبيلان فانها في الارجح اصيلة وذلك لانها لا تزال موجودة في سجلات المحكمة

---

(١) هذه رسالة من ابراهيم باشا الصغير الى الحاج احمد اغا بتاريخ رجب ١٢٤٧ هـ . وهي لا تزال محفوظة حتى الان في مكتبة جامعة بيروت الاميركية . والغرض المقصود منها ان يعفى دير المخلص من بعض رسوم الجمارك ومن السخرة ايضاً

الشرعية بمدينة طرابلس ولسائر الاسباب التي خولت لنا هذا الاستنتاج في امر رسائل عبدالله باشا الى اهالي البيت المقدس ودمشق

اما رسالة ابراهيم باشا الى اهالي حلب فاننا وجدناها في مجموعة رسائل صغيرة في مكتبة الاباء اليسوعيين في بيروت ، والمجموعة هذه مجهولة الجامع والناسخ . وقد عنونها المرحوم الاب لويس شيخو هكذا : « تحارير ورسائل الشيخ عبود البحري » . غير انه اقر لنا قبل وفاته انه لم يعطها هذا العنوان الا لورود بعض رسائل عبود فيها . وهي -- اي المجموعة -- بلا شك من مخطوطات الربع الاخير من القرن الماضي بدليل الورق ومحتويات بعض رسائلها . وقد ترددنا ولا نزال نتردد في صحة اصلية الرسالة التي نحن بصددها لانها كما اتضح اعلاه مفقودة الاصل مجهولة الناسخ والتاريخ ولاننا لم نجد لها ذكراً في سجلات المحكمة الشرعية بمدينة حلب ولا في الاصول الافرنسية التي لا تزال تحفظ لنا الباقي من مناشير الباشا ورسائله . وقد استغربنا ورود الآيات القرآنية فيها ولا سيما وان معظم ما نعرفه من رسائل ابراهيم باشا في سورية خال من الآيات مشبع بالتعابير الدارجة . فهو يقول الى الشيخ سليمان عبد الهادي بتاريخ ١٢ جمادى الاولى سنة ١٢٥٠ ما نصه :

« وبعد الان انت الذي تبقى السبب في تبويظي مع الشيخ حسين[١] » . وهكذا فانه قال الى فرج اغا متسلم حماه بتاريخ ٣ محرم سنة ١٢٥١ ما نصه ايضاً :

« انما نحن لم موجود عندنا القجه قديمه حتى انه لم يهون علينا نبوظها بل موجود عندنا القجه فراطه يهون علينا نصرفها يقتضى تخبرونا عن النقديه الذي لازماكم مقدار ايش حتى نفهم مطلوبكم[١] » . هذا ولا يخفى انه لا يجوز للمؤرخ اليوم ان يستعمل محتويات رسالة كهذه ما لم يتمكن من اثبات اصالتها الاثبات العلمي المروم . ولا يقدح في قولنا هذا كلام معترض اننا لم نثبت تزويرها اذ اننا في الابحاث التاريخية

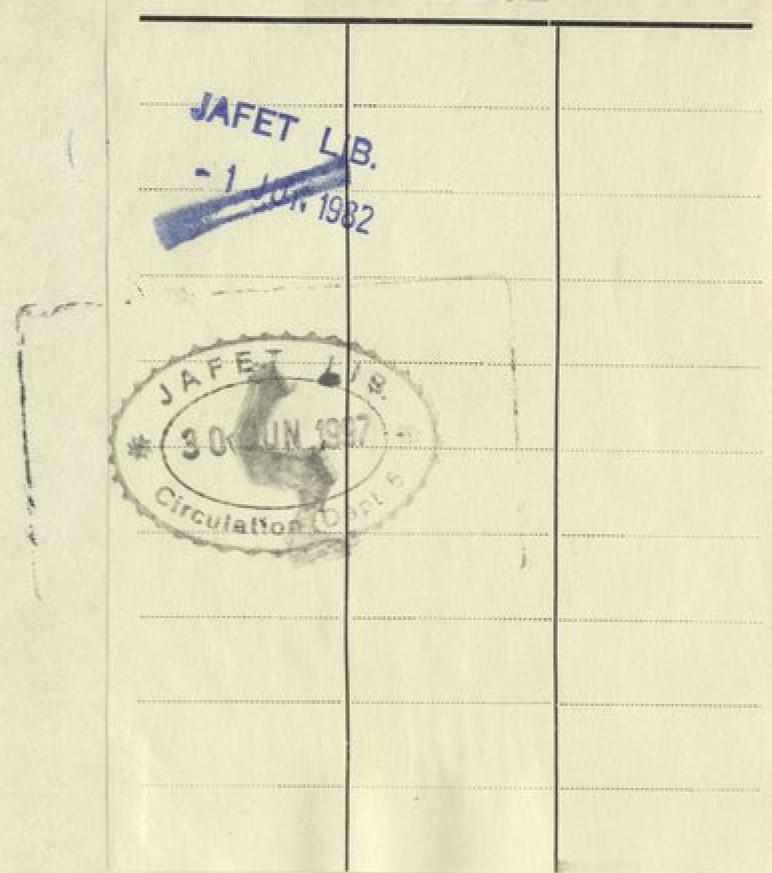
---

(١) اطلب مجموعة جامعة بيروت الاميركية تحت سنة ١٢٥٠

(١) مجموعة جامعة بيروت الاميركية سنة ١٢٥١

لا نقول مع رجل القانون « البينة على من ادعى » بل نعتبر كل الحقائق ظنينة حتى نتثبت من صحتها

المحتويات واهميتها : كنا نود لو كان بامكاننا ان نطلع على تقارير القواد العثمانيين قبل البت في امر محتويات بشائر القائد المصري · ونرانا مضطرين تحت هذه الظروف ان نرجيء اثبات بعض ما تتضمنه هذه الاوراق من الحقائق الى ان يتسنى لنا الوقوف على مضمون الوثائق التركية لا سيما وروايات المؤرخين بارو وكادلفان وفولابال وغوان تعتمد بوجه الاجمال على تقارير الباشا المصري وكذلك المؤرخون الوطنيون فانهم اشتهروا بانتمائهم الى الامير بشير الثاني وحليفه ابراهيم باشا المصري


DATE DUE
JAFET LIB.
- 1 JUN 1982
JAFET LIB.
30 JUN 1987
Circulation Dept 5

